

حياة ابي الفضل العباس عليه السلام

سنة ولادته:

أفاد بعض المحققين أن أبا الفضل العباس (عليه السلام) وُلد سنة (26 هـ) في اليوم الرابع من شهر شعبان.

تسميته:

سَمِيَ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وليده المبارك (بالعباس) وقد استشفَّ من وراء الغيب انه سيكون بطلاً من أبطال الإسلام ، وسيكون عبوساً في وجه المنكر والباطل ، ومنطلق البسمات في وجه الخير ، وكان كما تنبأ فقد كان عبوساً في ميادين الحروب التي أثارتها القوى المعادية لأهل البيت عليهم السلام ، فقد دمر كتائبها وجندل أبطالها ، وخيم الموت على جميع قطعات الجيش في يوم كربلاء ، ويقول الشاعر فيه:

عبست وجوه القوم خوف الموت ... * ... والعباس فيهم ضاحك متبسم

كنيته:

وكنِّي سيِّدنا العباس (عليه السلام) بما يلي:

1- أبو الفضل:

كنِّي بذلك لأنَّ له ولداً اسمه الفضل ، ويقول في ذلك بعض من رثاه:

أبا الفضل يا من أسس الفضل والإبا * أبا الفضل إلا أن تكون له أبا

وطابقت هذه الكنية حقيقة ذاته العظيمة فلو لم يكن له ولد يُسَمَّى كُنِّي بذلك لأنَّ له ولداً اسمه (القاسم) وذكر بعض المؤرِّخين أنَّه استشهد معه يوم الطَّف ، وقَدَّمه قرباناً لدين الله ، وفداءً لريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ألقابه:

أما الألقاب التي تُضفى على الشخص فهي تحكي صفاته النفسية حسنة كانت أو سيئة ، وقد أضيفت على أبي الفضل (عليه السلام) عدّة ألقاب رفيعة تنمّ عن نزاعته النفسية الطيبة ، وما اتصف به من مكارم الأخلاق وهي:

1- قمر بني هاشم:

كان العباس (عليه السلام) في روعة بهائه ، وجميل صورته آية من آيات الجمال ، ولذلك لُقّب بقمر بني هاشم ، وكما كان قمرًا لأسرته العلوية الكريمة ، فقد كان قمرًا في دنيا الإسلام ، فقد أضاء طريق الشهادة ، وأثار مقاصدها لجميع المسلمين.

2- السقاء:

وهو من أجلّ ألقابه ، وأحبّها إليه ، أما السبب في امضاء هذا اللقب الكريم عليه فهو لقيامه بسقاية عطاشى أهل البيت عليهم السلام حينما فرض الإرهابي المجرم ابن مرجانة الحصار على الماء ، وأقام جيوشه على الفرات لتموت عطشاً ذرية النبي (صلى الله عليه وآله) ، محرّر الإنسانية ومنقذها من ويلات الجاهلية... وقد قام بطل الإسلام أبو الفضل باقتحام الفرات عدّة مرّات ، وسقى عطاشى أهل البيت ، ومن كان معهم من الأنصار ، وسنذكر تفصيل ذلك عند التعرّض لشهادته.

3- بطل العلقمي:

أما العلقمي فهو اسم للنهر الذي استشهد على ضفافه أبو الفضل العباس (عليه السلام) ، وكان محاطاً بقوى مكثّفة من قبل ابن مرجانة لمنع ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيّد شباب أهل الجنّة ، ومن كان معه من نساء وأطفال من شرب الماء ، وقد استطاع أبو الفضل بعزمه الجبار ، وبطولته النادرة أن يجندل الأبطال ، ويهزم أقزام ذلك الجيش المنحطّ ، ويحتلّ ذلك النهر ، وقد قام بذلك عدّة مرّات ، وفي المرّة الأخيرة استشهد على ضفافه ومن ثمّ لُقّب ببطل العلقمي.

4 - حامل اللواء:

ومن ألقابه المشهورة (حامل اللواء) وهو أشرف لواء أنه لواء أبي الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام) ، وقد خُصّه به دون أهل بيته وأصحابه ، وذلك لما تتوفر فيه من القابليات العسكرية ، ويعتبر منح اللواء في ذلك العصر من أهمّ المناصب الحسّاسة في الجيش وقد كان اللواء الذي تقلّده أبو الفضل يرفرف على رأس الإمام الحسين (عليه السلام) منذ أن خرج من يثرب حتّى انتهى إلى كربلاء ، وقد قبضه بيد من حديد ، فلم يسقط منه حتى قطعت يده ، وهوى صريعاً بجنب العلقمي.

5- كبش الكتيبة:

وهو من الألقاب الكريمة التي تُمنح إلى القائد الأعلى في الجيش ، الذي يقوم بحماية كتائب جيشه بحسن تدبير، وقوّة بأس ، وقد اضفي هذا الوسام الرفيع على سيّدنا أبي الفضل ، وذلك لما أبداه يوم الطّف من الشجاعة والبسالة في الذبّ والدفاع عن معسكر الإمام الحسين (عليه السلام) ، فقد كان قوّة ضاربة في معسكر أخيه ، وصاعقة مرعبة ومدمّرة لجيوش الباطل.

6- العميد:

وهو من الألقاب الجليلة في الجيش التي تُمنح لأبرز الأعضاء في القيادة العسكرية ، وقد قلّد أبو الفضل (عليه السلام) بهذا الوسام لأنّه كان عميد جيش أخيه أبي عبدالله ، وقائد قوّاته المسلّحة في يوم الطّف.

7- حامي الطعينة:

ومن الألقاب المشهورة لأبي الفضل (عليه السلام) (حامي الطعينة)

يقول السيّد جعفر الحلّي في قصيدته العصماء التي رثاه بها:

حامي الطعينة أين منه ربيعة ... * ... أم أين من علياً أبيه مكرم

وأنما اضفي عليه هذا اللقب الكريم لقيامه بدور مشرف في رعاية مخدرات النبوة وعقائل الوحي ، فقد بذل قصارى جهوده في حمايتهم وحراستهم وخدمتهم ، فكان هو الذي يقوم بترحيلهم ، وانزالهم من المحامل طيلة انتقالهم من يثرب إلى كربلاء.

ومن الجدير بالذكر أن هذا اللقب اطلق على بطل من شجعان العرب وفرسانهم وهو ربيعة بن مكرم ، فقد قام بحماية ظعنه ، وأبلى في ذلك بلاءً حسناً وهذا من أكثر ألقابه شيوعاً ، وانتشاراً بين الناس ، فقد آمنوا وأيقنوا أنه ما قصده ذو حاجة بنية خالصة إلاّ قضى الله حاجته ، وما قصده مكروب إلاّ كشف الله ما ألمّ به من محن الأيام ، وكوارث الزمان ، وكان ولدي محمد الحسين ممن التجأ إليه حينما دهمته كارثة ففرّج الله عنه.

إنّ أبا الفضل نفحة من رحمت الله ، وباب من أبوابه ، ووسيلة من وسائله ، وله عنده الجاه العظيم ، وذلك لجهاده المقدّس في نصره الاسلام ، والذبّ عن أهدافه ومبادئه ، وقيامه بنصرة ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى استشهد في سبيله هذه بعض ألقاب أبي الفضل ، وهي تحكي بعض معالم شخصيته العظيمة وما انطوت عليه من محاسن الصفات ومكارم الأخلاق(1).

ملاحظه:

أمّا ملاحظه فقد كان صورة بارعة من صور الجمال ، وقد لُقّب بقمر بني هاشم لروعة بهائه ، وجمال طلعتة ، وكان متكامل الجسم قد بدت عليه واستوعب حب العباس قلب أمّه الزكيّة ، فكان عندها أعزّ من الحياة ، وكانت تخاف عليه ، وتخشى من أعين الحساد من أن تصيبه بأذى أو مكروه ، وكانت تعوذه بالله ، وتقول هذه الأبيات:

أعيذه بالواحد ... * ... من عين كلّ حاسد

قائمهم والقاعد ... * ... مسلمهم والجاحد

صادرهم والوارد ... * ... مولدهم والوالد

مع أبيه:

كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يرعى ولده أبا الفضل في طفولته ، ويعنى به كأشد ما تكون العناية فأفاض عليه مكونات نفسه العظيمة العامرة بالإيمان والمثل العليا ، وقد توشم فيه أنه سيكون بطلاً من أبطال الإسلام ، وسيسجل للمسلمين صفحات مشرقة من العزة والكرامة.

كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يوسع العباس تقبيلاً ، وقد احتل عواطفه وقلبه ، ويقول المؤرخون: إنه أجلسه في حجره فشمر العباس عنوخلدت أم البنين إلى الصبر ، وحمدت الله تعالى في أن يكون ولدها فداءً لسبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وريحانته.

نشأته:

نشأ أبو الفضل العباس (عليه السلام) نشأةً سالحة كريمة ، قلما يظفر بها إنسان فقد نشأ في ظلال أبيه رائد العدالة الاجتماعية في الأرض ، فعذاه بعلمه لقد نشأ أبو الفضل على التضحية والفداء من أجل إعلاء كلمة الحق ، ورفع رسالة الإسلام الهادفة إلى تحرير إرادة الإنسان ، وبناء مجتمع أفضل تسوده العدالة والمحبة ، والإيثار ، وقد تأثر العباس بهذه المبادئ العظيمة وناضل في سبيلها كأشد ما يكون النضال ، فقد غرسها في أعماق نفسه ، ودخائل ذاته ، أبوه الإمام أمير المؤمنين وأخواه الحسن والحسين عليهم السلام ، هؤلاء العظام الذين حملوا مشعل الحرية والكرامة ، وفتحوا الآفاق المشرقة لجميع شعوب العالم وأمم الأرض من أجل كرامتهم وحرّيتهم ، ومن أجل أن تسود العدالة والقيم الكريمة بين الناس.

أخيه أبي الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام) ، فقد أبدى في سبيله من ضروب الإيثار وحنوف التضحية ما يفوق حدّ الوصف ، وما كان به مضرب المثل على امتداد التاريخ ، فقد قطعت يداه الكريمتان يوم الطّف في سبيله ، وظلّ يقاوم عنه حتى هوى إلى الأرض صريعاً ، وان لهذه التضحيات الهائلة عند الله منزلة كريمة ، فقد منحه من الثواب العظيم ، والأجر الجزيل ما يغبطه عليه جميع شهداء الحق والفضيلة في دنيا الإسلام وغيره.

2- الإمام الصادق:

أما الإمام الصادق (عليه السلام) فهو العقل المبدع والمفكر في الإسلام فقد كان هذا العملاق العظيم يشيد دوماً بعمه العباس ، ويثني ثناءً عاطراً وندياً على مواقفه البطولية يوم الطّف، وكان مما قاله في حقّه:

«كان عمّي العباس بن علي (عليه السلام) نافذ البصيرة ، صلب الإيمان ، جاهد مع أخيه الحسين ، وأبلى بلاءً حسناً ، ومضى شهيداً..» (1)

وتحدّث الإمام الصادق (عليه السلام) عن أنبل الصفات الماثلة عند عمّه العباس والتي كانت موضع إعجابه وهي:

أ - نفاذ البصيرة:

أما نفاذ البصيرة ، فانها منبعثة من سداد الرأي ، وأصالة الفكر ، ولا يتّصف بها إلا من صفت ذاته ، وخلصت سريرته، ولم يكن لدواعي الهوى والغرور أي سلطان عليه ، وكانت هذه الصفة الكريمة من أبرز صفات أبي الفضل فقد كان من نفاذ بصيرته ، وعمق تفكيره مناصرته ومتابعته لإمام والظاهرة الأخرى من صفات أبي الفضل (عليه السلام) هي الصلابة في الإيمان وكان من صلابة إيمانه انطلاقه في ساحات الجهاد بين يدي ريحانة رسول الله مبتغياً في ذلك الأجر عند الله ، ولم يندفع إلى تضحيته بأي دافع من الدوافع المادية ، كما أعلن ذلك في رجزه يوم الطّف، وكان ذلك من أوثق الأدلة على إيمانه.

ج - الجهاد مع الحسين:

وثمة مكرمة وفضيلة أخرى لبطل كربلاء العباس (عليه السلام) أشاد بها الإمام الصادق (عليه السلام) وهي جهاده المشرق بين يدي سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وسيد شباب أهل الجنة ، ويعتبر الجهاد في سبيله من أسمى مراتب الفضيلة التي انتهى إليها أبو الفضل، وقد أبلى بلاءً حسناً يوم الطّف لم يشاهد مثله في دنيا البطولات.

د - زيارة الإمام الصادق:

زار الإمام الصادق (عليه السلام) أرض الشهادة والفداء كربلاء ، وبعدها انتهى من زيارة الإمام الحسين وأهل بيته والمجتبيين من أصحابه ، انطلق بشوق إلى زيارة قبر عمّه العباس ، ووقف على المرقد المعظم ، وزاره بالزيارة التالية التي تنم عن سمو منزلة العباس ، وعظيم مكانته ، وقد استهلّ زيارته

بقوله:

سلام الله ، وسلام ملائكته المقربين ، وأنبيائه المرسلين ، وعباده الصالحين ، وجميع الشهداء والصديقين والزكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح عليك يا ابن أمير المؤمنين...

لقد استقبل الإمام الصادق عمّه العباس بهذه الكلمات الحافلة بجميع معاني الإجلال والتعظيم ، فقد رفع له تحيات من الله وسلام ملائكته ، وأنبيائه المرسلين ، وعباده الصالحين ، والشهداء ، والصديقين ، وهي أندى وأزكى تحية رفعت له ، ويمضي سليل النبوة الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارته قائلاً:

وأشهد لك بالتسليم ، والتصديق ، والوفاء ، والنصيحة لخلف النبي المرسل ، والسبط المنتجب ، والدليل العالم ، والوصي المبلغ والمظلوم المهتضم.. »

وأضفى الإمام الصادق (عليه السلام) بهذا المقطع أوسمة رفيعة على عمّه العباس هي من أجل وأسمى الأوسمة التي تضى على الشهداء العظام، وهي:

أ - التسليم:

وسلم العباس (عليه السلام) لأخيه سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) جميع أموره ، وتابعه في جميع قضايا حتى استشهد في سبيله ، وذلك لعلمه بإمامته القائمة على الإيمان الوثيق بالله تعالى ، وعلى أصالة الرأي وسلامة القصد ، والإخلاص في النية.

ب - التصديق:

وصدّق العباس (عليه السلام) أخاه ربحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في جميع اتجاهاته ، ولم يخامره شكّ في عدالة قضيّته ، واثّ على الحق ، وان من نصب له العداوة وناجزه الحرب كان على ضلال مبيّن.

ج - الوفاء:

من الصفات الكريمة التي أضافها الإمام الصادق (عليه السلام) على عمّه أبي الفضل (عليه السلام) ، الوفاء ، فقد وفى ما عاهد عليه الله من نصره إمام الحق أخيه أبي عبدالله الحسين (عليه السلام) ، فقد وقف إلى جانبه في أحلك الظروف وأشدّها محنة وقسوة ، ولم يفارقه حتى قطعت يداه ، واستشهد في سبيله.

لقد كان الوفاء الذي هو من أميز الصفات الرفيعة عنصراً من عناصر أبي الفضل وذاتياً من ذاتياته ، فقد حُلق للوفاء والبرّ للقريب والبعيد.

د - النصيحة:

وشهد الإمام الصادق بنصيحة عمّه العباس لأخيه سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فقد أخلص له في النصيحة على مقارعة الباطل ، ومناجزة أئمّة الكفر والضلال ، وشاركه في تضحياته الهائلة التي لم يشاهد العالم مثلها نظيراً في جميع فترات التاريخ... ولننظر إلى بند آخر من بنود هذه الزيارة الكريمة ، يقول (عليه السلام) :

«فجزاك الله عن رسوله ، وعن أمير المؤمنين ، وعن الحسن والحسين صلوات الله عليهم أفضل الجزاء بما صبرت ، واحتسبت ، وأعنت فنعم عقبى الدار...».

وحوى هذا المقطع على إكبار الإمام الصادق (عليه السلام) لعمّه العباس وذلك لما قدّمه من الخدمات العظيمة ، والتضحيات الهائلة لسيّد شباب أهل الجنّة ، وريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الإمام الحسين (عليه السلام) فقد فداه بروحه ، ووقاه بمهجته ، وصبر على ما لاقاه في سبيله من المحن والشدائد مبتغياً في ذلك الأجر عند الله،

فجزاه الله عن نبيّه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وعن باب مدينته الإمام أمير المؤمنين ، وعن الحسن والحسين أفضل الجزاء على عظيم تضحياته.

ويستمرّ مجدّد الإسلام الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارته لعمّه العباس، فيذكر صفاته الكريمة ، وما له من المنزلة العظيمة عند الله تعالى، فيقول بعد السلام عليه:

«أشهد، وأشهد الله أنّك مضيت على ما مضى به البديرون والمجاهدون في سبيل الله ، المناصحوون له في جهاد أعدائه ، المبالغون في نصره أوليائه ، الذابّون عن أحبّائه ، فجزاك الله أفضل الجزاء وأوفى الجزاء ، وأوفى جزاء أحد ممن وفي ببيعته ، واستجاب لدعوته ، وأطاع ولاة أمره....»

لقد شهد الإمام الصادق العقل المفكّر والمبدع في الإسلام ، واشهد الله تعالى على ما يقول: من أنّ عمّه أبا الفضل العباس (عليه السلام) قد مضى في جهاده مع أخيه أبي الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام)، على الخطّ الذي مضى عليه شهداء بدر الذين هم من أكرم الشهداء عند الله فهم الذين كتبوا النصر للإسلام ، وبدمائهم الزكية ارتفعت كلمة الله عالية في الأرض وقد استشهدوا وهم على بصيرة من أمرهم ، ويقين من عدالة قضيتهم ، وكذلك سار أبو الفضل العباس على هذا الخطّ المشرق ، فقد استشهد لإنقاذ الإسلام من محنته الحازبة ، فقد حاول صلوك بني أميّة حفيد أبي سفيان أن يمحوا كلمة الله ، ويلف لواء الإسلام ، ويعيد الناس لجاهليتهم الأولى ، فنار أبو الفضل بقيادة أخيه أبي الأحرار في وجه الطاغية السقّاك ، وتحققت بثورتهم كلمة الله العليا في نصر الإسلام وإنزال الهزيمة الساحقة بأعدائه وخصومه.

ويستمرّ الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارته لعمّه العباس فيسجّل ما يحمله من إكبار وتعظيم ، فيقول:

«أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود فبعثك الله في الشهداء ، وجعل روحك مع أرواح السعداء ، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً، وأفضلها غرفاً ، ورفع ذكرك في عليين وحشرك مع النبيين ، والصديقين والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

أشهد أنّك لم تهن ولم تنكل ، وأنك مضيت على بصيرة من أمرك ، مقتدياً بالصالحين ، ومتبعاً للنبيّين ، فجمع الله بيننا ، وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المحبّتين ، فإنّه أرحم الراحمين.. «(1).

ويلمس في هذه البنود الأخيرة من الزيارة مدى أهميّة العباس ، وسموّ مكانته عند إمام الهدى الإمام الصادق (عليه السلام)، وذلك لما قام به هذا البطل العظيم من خالص النصيحة ، وعظيم التضحيّة لريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الإمام الحسين (عليه السلام)، كما دعا الإمام له ببلوغ المنزلة السامية عند الله التي لا ينالها إلاّ الأنبياء ، ووصيائهم، ومن أمتحن الله قلبه للإيمان.

3- الإمام الحجّة:

وأدلى الإمام المصلح العظيم بقية الله في الأرض قائم آل محمد (صلى الله عليه وآله) وأشاد بقية الله في الأرض بالصفات الكريمة الماثلة في عمّه قمر بني هاشم وفخر عدنان ، وهي:

1- مواساته لأخيه سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فقد واساه في أحلك الظروف ، وأشدّها محنة وقسوة ، وظلّت مواساته له مضرب المثل على امتداد التاريخ.

2- تقديمه أفضل الزاد لآخرته ، وذلك بتقواه ، وشدّة تحرّجه في الدين ، ونصرته لإمام الهدى.

3- تقديم نفسه ، واخوته ، وولده فدائاً لسيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين (عليه السلام)

4- وقايته لأخيه المظلوم بمهجته.

5 - سعيه لأخيه وأهل بيته بالماء حينما فرضت سلطات البغي والجور الحصار على ماء الفرات من أن تصل قطرة منه لآل النبيّ (صلى الله عليه وآله).

اسم الكتاب: العباس عليه السلام ؛ المؤلف: السيد عبد الرزاق المغربي؛ المجلد3ص6